على الغلاف

# القدس تسقط خيار التسوية... وتكشف التواطؤ الـ

من التحركات في قطاع غزة تنديداً بالإعلان الاميركي عن القدس (أ ف ب)

علي حيدر

لا يكفي تسليط الأضواء على دوافع الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الظرفية، ولا حتى على الأطماع الصهيونية، لتفسير قرار اعترافه بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي... وهو أمر مطلوب. فكل رئيس أميركي ـ على الأقل منذ عام 1995 ـ كانت لديه دوافعه لتنفيذ ذلك. ومع ذلك، لم تتبنّ أي إدارة خطوة كهذه. العامل المستجدّ الذي سمح لهذه الدوافع بالانتقال إلى مرحلة التحقق، تكمن في هرولة حكومات عربية للتحالف مع اسرائيل، وفي تحوّل قضية فلسطين إلى عبء على أنظمة «الاعتدال» العربي الذين باتوا يريدون التخفف منها بأي ثمن. وما يفسر جرأة الإدارة الأميركية الحالية بالاستخفاف من مفاعيل قرار بهذا الحجم، هو نظام آل سعود، الذي يُسرع الخطى للانتقال إلى المرحلة العلنية في التحالف مع العدو.

لو لم تضمن واشنطن، ومعها تل أبيب، ردود فعل «حلفائها» في المنطقة العربية، لما استخفت وتجرأت على إعلان قرار بهذا الحجم. فلو قدّرت (واشنطن) أن خطوة كهذه ستدفع معسكر «الاعتدال العربي» لـ«تجميد العلاقات مع إسرائيل»، ولو مكرهة، أو حتى الاكتفاء بالتلويح بهذا الخيار، لكانت اسرائيل اول من يرفض هذه الخطوة. وهو ما عبّر عنه رئيس «معهد أبحاث الأمن القومي»، اللواء عاموس يادلين، بالقول إن «الفلسطينيين والعرب والأتراك، يهددون بمسدس فارغ». واكثر من ذلك، فان الرهان الإسرائيلي ـ الأميركي، هو أن ردود فعل الشعب الفلسطيني والشارع العربي، لن تكون في المستوى الذي يقلقهم. وهو ما حضر في كلمات يادلين أيضاً، بالقول إن «الجماهير في العالم العربي بمن فيها الفلسطينيون، لن تخرج إلى الشوارع وهي منهمكة في قضايا أخرى».

خلاصة الأمر أنه في مثلث العلاقات القائم، بين واشنطن وتل أبيب و«الاعتدال العربي»، تبقى خيارات واشنطن إزاء إسرائيل وغيرها، أسيرة مجموعة اعتبارات، على رأسها قاعدة الكلفة والجدوى. وهو ما ينسحب أيضاً على قرار ترامب بإعلان القدس عاصمة للكيان الإسرائيلي، وعلى كل الخطوات السابقة واللاحقة. يكشف توقيت الخطوة الأميركية عن كونها جزء من سياق الخطوات التمهيدية لما يطلق عليه «صفقة القرن»، التي يتصدرها تظهير العلاقات السعودية ـ الإسرائيلية، والانتقال بها إلى مرحلة التحالف العلني. لكن من جهة أخرى، أثبتت إدارة ترامب أيضاً، صحة النظرية التي تقول إن الولايات المتحدة لا تقبل في العالم العربي، حلفاء ولا شركاء، بل أدوات لا ترى نفسها ملزمة بمراعاة هواجسهم. والدور الملقى على عاتقهم بعد التعبير عن اعتراضاتهم وتحفظاتهم، هو التكيّف مع هذا الواقع، والقيام بدورهم في كبح الشعب الفلسطيني، باعتباره رأس حربة الاشتباك مع الاحتلال، ومنعه من التعبير عن إرادته بالمستوى الذي يهدد الأمن الإسرائيلي. وهكذا تكون واشنطن قد كشفت مرة أخرى، للمراهنين على جدوى العلاقات او التحالف أو التبعية لها، أنه في مقابل إسرائيل، لا يمكن الرهان على أدائها في كبح العدوانية الإسرائيلية. وهو ما تجسّد في قرار شرعنة العدوان الإسرائيلي المستمر على القدس وفلسطين. لكن «فضيلة» هذه الإدارة أنها جعلت هذا المفهوم أكثر وضوحاً ولا يستلزم عناء الشرح.

من أهم ما ينطوي عليه الإعلان

> توقيت الخطوة الأميركية يكشف عن كونها جزءاً مما يطلق عليه «صفقة القرن»

الأميركي، في أبعاده الاستراتيجية، أنه شكّل محطة كاشفة عن انعدام فرص الرهان على خيار التسوية، حتى ولو بصيغة الحدّ الأدنى الذي كان يراود أتباع هذا الخيار. وأظهرت بنحو جليّ الحقيقة التي كانت غائبة عن البعض، أو الكثيرين، بأن اتفاقيات أوسلو كانت وما زالت تجسيداً لدور وظيفي إسرائيلي على الساحات الفلسطينية (احتواء انتفاضته ومقاومته) والعربية (بوابة بالاتجاهين) والعالمية (منحها شرعية للسياسات الاستيطانية والعدوانية في المرحلة التي تلت).

## إسرائيل: ترامب تشاور مع زعماء عرب... واطمأن إلى ردود فعلهم

مع اعلان الرئيس دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي، استحضر المسؤولون الإسرائيليون المخزون الأيديولوجي الصهيوني في العلاقة مع القدس وفلسطين، وأضفوا أبعاداً تاريخية واستراتيجية على هذه المحطة المفصلية في حركة الصراع مع إسرائيل، وفي مواجهة الشعب الفلسطيني. وكان بارزاً جداً، أنه لم يكن هناك تمايز في إسرائيل، في الموقف من الاعتراف الأميركي بالقدس، بين يمين ويسار، ولا بين علمانيين ومتدينين صهاينة، وإنما كان هناك موقف موحد في المضمون والمفردات. ولا يتعارض ذلك، مع وجود تباينات تتعلق بتقدير مفاعيل هذه الخطوة وتداعياتها على الساحتين الفلسطينية والاقليمية.

واعتبر رئيس الدولة رؤوبين ريفلين أن هذه الخطوة «محطة تأسيسية لحق الشعب اليهودي». ورأى أنها أجمل هدية لإسرائيل في الذكرى السبعين لاقامتها، وفي الذكرى الخمسين لاحتلال القدس في العام 1967. وفي السياق نفسه، وصف رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو القرار بأنه محطة هامة في تاريخ القدس، و«اعلان تاريخي، يعترف بحقائق تاريخية»، واستحضر الأبعاد التاريخية والدينية لموقف الرئيس الأميركي في سياق التوظيف الصهيوني. ولم يتأخر في توظيف الموقف الأميركي في سياقه التسووي، كاشفاً عن أن هذا الموقف سيتحوّل الى سقف يُلزم الفلسطينيين بمواصلة التسوية انطلاقاً من التسليم به، وهو ما برز في كلامه الذي أكد فيه أنه «لن يكون هناك سلام من دون الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل». على خط موازٍ، حاول نتنياهو أيضاً احتواء حالة الغضب التي تسود الشارع الفلسطيني، بالقول إن اسرائيل ستحافظ على «الوضع الراهن في القدس، وفي الحرم، وعلى حرية العبادة التامة لكل الاديان». وتوجه إلى الرئيس ترامب بالقول «سيدي الرئيس، التاريخ والشعب اليهودي سيذكران دائماً قرارك الشجاع في هذا اليوم، فشكراً لك».

بدوره، استبعد وزير الاستخبارات يسرائيل كاتس، أن يكون للسعودية ردود فعل سلبية تؤثر على تحالفها مع إسرائيل. وأكد أن الرياض مع المصالح المشتركة مع تل أبيب في مواجهة ايران، وهي تحتاج في هذا المجال إلى إسرائيل، بنسبة لا تقل عن العكس. ولفت وزير الاستخبارات أيضاً إلى أنّ ترامب أجرى سلسلة اتصالات مع الزعماء العرب، قبل اعلان قراره، مشيراً إلى أن هناك «فرقاً بين الإعراب عن موقف معارض، وبين توجيه رسالة كسر أوان» في اشارة الى استبعاده ردود فعل جدية تتجاوز التقديرات السائدة في واشنطن وتل أبيب، و«قواعد اللعبة». وبما أن الرئيس ترامب أعلن قراره بعد هذه الاتصالات فهو يعكس،

> وزير الاستخبارات: الرياض مع المصالح المشتركة مع تل أبيب في مواجهة إيران

بحسب كاتس، أنه «لم يتلق مثل هذه الرسائل (كسر الأواني) من الزعماء العرب الذين يعتمدون كثيراً في هذه الأيام على السياسة الأميركية ويحتاجون إلى الأميركيين، وأيضا إلى إسرائيل، في مواجهة إيران». وأضاف كاتس أنه «لا يوجد في العالم العربي في الدول الرائدة، نفس الحماسة التي نسمعها في الجانب الفلسطيني ولا لدى (الرئيس التركي رجب طيب) أردوغان أو لدى كل محور الإخوان المسلمين، وهذا ليس عن طريق الصدفة».

وعلى المستوى الاعلامي، احتل حدث الاعتراف الاميركي بالقدس عاصمة لإسرائيل، صدارة النشرات الاخبارية ومحور التعليقات والتحليلات التي توقفت عند الرسائل والدلالات التي ينطوي عليها، وما يمكن أن يترتب عليها على المستويين السياسي والأمني.